اللحية

بين موسوليني وابن الرومي

للحية أنصار وأعداء في كل زمن ، ومعجبون وكارهون ، وقديما قال الشاعر العربي :

ألا ليت اللحى كانت حشيشا فنعلفها خيول المسلمينا

ولكن أعجب ما قرأناه عن اللحية ما نشرته الصحف في هذا الشهر عن دكتاتور ايطاليا ، وعداوته الشديدة للحى وأصحابها الى حد اعلان محاربتها رسميا واعداد قانون يحرم اعفاءها بتاتا

ولا جرم انها نزعة شاعر ففي نيا ذوقه عن تدليها ثم اشتدت به نزعته فأصبحت اشمئزازا فمقتا تملك عليه نفسه فأصبح لا يطيق لها رؤية

واذا كان أشد الناس مقتا للحى هم الموتورين منها ومن سوء آثارها فاننا لا نعرف الباعث الصحيح لنقمة موسوليني عليها وعلى ذويها الى حد اعلان هذه الحرب الشعواء عليهم جميعا

على أننا نعرف لهذا الكره المتأصل في نفس صاحبه شبيها عندنا فقد بلغ مقت ابن الرومي للحية الى أقصى حد ، فلم يدع أسلوبا من أساليب الذم الا صاغه فيها ولا عبارة من عبارات الازراء الا قالها في أصحابها ، ولو أوتي ابن الرومي قوة الحكم المطلق الذي أوتيه دكتاتور ايطاليا ، لأصدر للجمهور المنشور الآتي ، وتفانى في تطبيقه على الشعب ، ولو كلفه ذلك اعلان الأحكام العرفية .

منشور لمعاقبة ذوي اللحى

أيها المواطن العزيز !

ان أنت صادفت أخا لحية قد جللت من كبر صدره
فاقبض بيسراك على أصلها وضع على حلقومه الشفره
فان خشيت الله في قتله وخفت منه سطوة مره
فثب الى عثنونه ناتفا فأت عليه شعرة شعره

ولقد هجا اللحية كثير من الخطباء والشعراء والادباء ، فمن ذلك قول بعض الاعراب

لا تفخرن بلحية كثرت منابتها طويله
تهوي بها هوج الريا ح كأنها ذنب الحصيله(١)
قد يدرك المجد الفتى يوما ولحيته قليله

ولكن أحدا منهم لم يغضب على اللحى وأصحابها غضب ابن الرومي، فقد هجاها في كل مناسبة عنّت له ، وأبدع في التهكم بأصحابها والزراية على ذويها، حتى كدنا نلقبه « عدو اللحى »

انظر الى قوله في هجاء البحتري :

البحتري ذنوب (٢) الوجه نعرفه وما رأينا ذنوب الوجه ذا أدب

تجده يحاول اقناعك بأن وجود اللحية وحده كاف للدلالة على نقص العقل ، والبعد عن الادب

ثم انظر الى تهكمه الظريف في الابيات التالية . وسخريته اللذة في هجاء بعض الملتحين اذ يقول :

ان أبا حفص وعثنونه (٣) كلاهما أصبح لي ناصبا
قد أغريا بي، يهجواني معاً ، وحدي ، وكان الاكثر الغالبا
أقسمت ، ما استنجد عثنونه حتى غدا لي خائفا راهبا
ان كان كفئا لي ، في زعمه ، فليعتزل لحيته جانبا

فانك لتغرق في الضحك اغراقا حين تراه يعتذر عن نكوصه عنه بأنه واجد يحارب اثنين ، ولا شك أن ضعيفين يغلبان قويا ، وما أجمله منظراً ، أذ تتمثل ابا حفص ولحيته يتعاونان معا على الكيد لابن الرومي فيغلبانه على أمره ، فيصرخ منهما متهكما بالابيات السابقة

(١) العجلة (٢) فى وجهه ذنب (٣) لحيته

وما أجمل تلك الصورة التي يمثلها لك ابن الرومي في الابيات التالية :

ولحية يحملها مائق شبه الشراعين اذا أشرعا
لو قابل الريح بها مرة لم ينبعث من خطوه أصبعا
أوغاص في البحر بها غوصة صاد بها حيتانه أجمعا

على انك لا تتمثل فيما استشهدنا لك به من كلامه الامداعبا ظريفا ، يتهكم باللحي وأصحابها ، أما الابيات التالية ، فستراه فيها حانقا غاضبا على ذي لحية حنقا لا حد له ، وانك لتكاد ترى شرر الغيظ ينبعث من عينيه ، وتلمح رغبته الجامحة الى الانتقام الذي لا يرده عنه الا ضعف المنة ، وقصور العجز :

ولحية سائلة منصبه شهباء ، تحكي ذنب المذبة(١)
الا فتى يرضي بذاك ربه يضم كفيه على إرزبه
ثمت يعلو رأسه بضربه يشفي بها قلوبنا وقلبه

وقد سطا المتنبي على معنى البيتين الاخيرين ، فصاغه في قوله :

ألا فتى يورد الهندي هامته

وحوّره في مكان آخر فقال.

أيد مقطعة حوالي رأسه وفتاً يصيح بها . ألا من يصفع

* * *

ونحب الا نغفل قبل ختام هذا الفصل عن ذكر « رائيته » الجميلة التي نعدها أبدع ما قرأناه من الشعر في ذم اللحي والسخرية من أصحابها ، وسيرى فيها القارىء المنصف — وان كان من أصحاب اللحى — فكاهة نادرة المثال ، وطرفة أدبية جديرة بعبقرية ابن الرومي الفذة ، التي امتاز بها على كل الشعراء في مثل هذه الابواب .

ان تطل لحية عليك وتعرض فالخالي معروفة للجمير
علق الله في عذاريك خلا ة ، ولكنها بغير شعير

(١) المنشة

لو غدا حكمها الي ، لطارت في مهب الرياح كلَّ مطير
القها عنك ، يا طويلة ، أولا فاحتسبها شرارة في السعير
أرع فيها الموسى ، فانك منها يشهد الله — في انام كبير
أيما كوسج(١) يراها ، فيلقي ربه بعدها صحيح الضمير
هو أحرى بأن يشك باتهام الحكيم في التقدير
ما تلقاك كوسج قط ، الا جوز الله ، أيما تجوير

• • •

لحية أهملت ، فسالت وفاضت فاليها تشير كف المشير
ما رأتها عين امرىء ما رآها قط الا أهلَّ بالتكبير
روعة تستخفه ، لم يروعها من رأى وجه منكر ونكير

• • •

فاتق الله ذا الجلال ، وغير منكرا فيك ممكن التغيير
أو فقصر منها ، فحسبك منها نصف شبر علامة التذكير
لو رأى مثلها النبيُّ ، لأجرى في لحى الناس سنة التقصير
واستحب الاحماء فيهن والحا ق مكان الاعفاء والتوفير

على أن الحريري قد دافع عنها ومدحها — ولعله فعل ذلك — لانه من ذوى اللحى ، فقال :

قال العواذل : ما هذا الغرام به أما ترى الشعر في خديه قد نبتا
فقلت : والله لو أن المفند لى تأمل الرشد في عينيه ما ثبتا
ومن يقيم بارض وهي مجدبة — فكيف يرحل عنها ، والربيع أتى

ولعل خير رد عليه هو قول القائل في ذم حبيب النحى .

طلعت لحيـة على عارضيه وكفى الله المؤمنين القتالا

« حليق »

(١) الذى لا ينبت على ذقنه شعر